حـرف البـاء

البَرَاءُ بن مالك رضي الله عنه

الذي قتل مائة من الفرس

صحابي، أنصاري، خزرجي، نجاري، كان والده «مالك بن النضر» قد تزوج «سهلة بنت مالك» والملقبة بأم سُلَيْم، فأنجبت له ولدين. «أنساً» و«البراء»، واعتنقت الإسلام في غياب زوجها، ولما أخبر بعد رجوعه بما صنعت، أمرها بالرجوع إلى الشرك، فأبت، فتركها مع ولديه ثم ذهب إلى الشام فمات فيها، وحصرت «أم سليم» اهتمامها في تربية ابنيها وتنشئتهما، وفق مبادىء الدين الحنيف، وغرست في نفسيهما مكارمه، وكان «أنس» يحمل اسم عمه «أنس بن النضر» شهيد أُحد الخالد، الذي قال لسعد بن معاذ قبل استشهاده بقليل: يا «سعد بن معاذ» الجنة ورب النضر، إني لأجد ريحها من دون أحد، وكان صادقاً في شمه ريحها، فساقه إليها، وبلَّغه مرامه. ومشى «البراء» على خطى عمه، وإذا كان العم محباً للشهادة، فإن ابن أخيه «البراء» عاشق لها، ومتيَّمٌ بها إلى حد الوَلَهِ والهيام، وهذا ما دفعه إلى التعرض لها، ولم يدع مناسبة تقربه من أمنيته إلا واغتنمها، وداهمته وعكة ثقيلة جزع لها عُوَّاده أشد الجزع، وخافوا أن تكون النهاية قد أزفت، وأن الرحيل قد دنا، وقرأ في وجوههم ما يدور في أذهانهم، فبادر إلى طمأنتهم بلهجة الواثق بربه، الناظر بنوره، ثم قال لهم: «لعلكم تخشون أن أموت على فراشي هذا،

ولكن اطمئنوا فإن الله لن يحرمني من الشهادة»، ولم يلبث «البراء» أن استرد صحته، وعاد سيرته الأولى، بل أفضل مما كان، وأشد بأساً وقوة.

كان «البراء» حاضراً مع رسول الله ﷺ جميع مشاهده إلَّا «بدراً» شأنه شأن عمه «أنس بن النضر» والعديد من الصحابة الذين لم يكونوا يظنون أن سيكون قتال يومها، ولا سيما أن رسول الله ﷺ لم يعاتب أحداً، ولم يعب على أحد من المتخلفين تخلفه، لا في حضوره ولا في غيابه.

وثبت «البراء» يوم أُحُد، لأن فكرة الفرار لا تخطر له ببال، وكيف يدور بخلده مثل هذه الفكرة إذا كانت الشهادة هاجسه الوحيد، ولا تكاد تفارق خياله؟ وثابر «البراء» على تعرضه للشهادة، والتماس سبلها.

ودُهيَ «البراء» والمسلمون بأعظم مصاب يوم التحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، ولكن لا رادَّ لقضاء الله، ولا معدى عن مشيئته.

وجاء «الصديق» وأطلت فتنة المرتدين ومانعي الزكاة برؤوسها، فقرر التصدي لهم، وقطع دابرهم، أو ردهم إلى سواء السبيل، وقال بحزم لا يفتر، وعزم لا يلين: والله لو منعوني عقالاً مما كانوا يعطون رسول الله ﷺ ثم أقبل معهم الشجر والمدر والجن والإنس لجاهدتهم حتى تلحق روحي بالله، وإن الله لم يفرق بين الصلاة والزكاة ثم جمعهما.

ولما سمع «عمر» مقالته، قال: والله قد علمت حين عزم الله لـ «أبي بكر» على قتالهم أنه الحق.

وانطلق «خالد بن الوليد» بجيشه إلى اليمامة، وخرج معه لفيف من كبار الصحابة، وما كان للبراء أن يتخلف عن الخروج في هذا الجيش لأنه استبشر بدنوه من الوصول إلى مبتغاه. وكانت شجاعة «البراء» تخيف «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه حتى كتب لعماله: (لا تستعملوا «البراء» على جيش من جيوش المسلمين فإنه مَهْلَكَة من المهالك، يقدم بهم)، فلننظر ما صنع «البراء» في اليمامة بعد أن دارت رحى القتال، وحمي وطيس المعركة، ولجأ «مسيلمة الكذاب» إلى حديقة حصينة تدعى: حديقة الموت، وكان معه عدد كبير جداً من أعوانه، ولما صاروا داخل الحديقة أقفلوا بابها ليمنعوا المسلمين من دخولها خلفهم.

إن «مسيلمة» هدف المعركة الأول، وقد ظن أنه أصبح في مأمن، بَيْدَ أنه لم يدر بخلده ما دار بخلد «البراء». لقد رأى «البراء» أن باب الحديقة المقفل هو الحائل بين المسلمين، وبين عدو الله «مسيلمة»، ولهذا قال لأصحابه: أضجعوني على تروسكم، واقذفوا بي من فوق سور الحديقة لأفتح لكم بابها، لقد دهش الجميع من طلب «البراء» إلا أنهم نزلوا على رغبته، وقاموا بما أمر، حتى إذا وجد نفسه داخل الحديقة راح يناجز المكلفين بحراسة الباب حتى تهيأ له إبعادهم عنه، ثم قام بفتحه، وتدفق سيل المسلمين، واشتد القتال، وامتلأت أرض الحديقة بآلاف الجثث، من كلا الفريقين، واستشهد من الصحابة: «زيد الخطاب» و«أبو حذيفة بن عتبة» و«سالم مولى أبي حذيفة» و«ثابت بن قيس» و«أبو دجانة»، وقتل «كذاب اليمامة مسيلمة» مع عدد كبير من أتباعه، ولكن هل وصل «البراء» إلى غايته؟ لقد وجد في جسم «البراء» بضع وثمانون جراحة ما بين ضربة ورمية، ونزف الكثير من دمه، فأقام عليه «خالد بن الوليد» شهراً حتى برأت جراحاته، وباعد الله بين «البراء» وبين حلمه الأثير.

لقد حققت معركة «اليمامة» غايتها بقتل رأس الفتنة «مسيلمة» وكثير من أتباعه، ورجع من سلموا من القتل إلى رشدهم، ولكن «البراء» لم يكن طالب نصر على الرغم من أن النصر إحدى الحسنيين، لكن مطلبه وهواه في الحسنى الأخرى وهي الشهادة، فهي عنده أهم من النصر، وهي حلم طال ارتقابه، وإذا كانت فرصته اليمامة لم تبلِّغه إياه، فأنى له أن يجد فرصة مثلها؟ إن المؤمن منهي عن اليأس والقنوط، وإيمان «البراء» العميق ليس محل مراء أو ارتياب، لذلك لم يكن أمامه إلا الانتظار، وأمام المسلمين الكثير من الأقطار والأمصار تنتظر أن ترفرف فوقها رايات الإسلام وتسود على أراضيها أحكام شريعته الغرَّاء.

ولهذا لم يسمح «البراء» لنفسه أن تتقبل فكرة اليأس أو تسيطر عليها. ولاذ بالصبر، وعاقبة الصبر مؤدَّاها إلى الخير، بإذن من له الخلق والأمر، سبحانه وتعالى!.

يقول ابن الأثير في موسوعته(١): أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن علي، وإبراهيم بن محمد بن مهران، وغيرهما، بإسنادهم إلى محمد بن عيسى(٢) قال: حدثنا عبد الله بن أبي زياد، حدثنا سيار، أخبرنا جعفر بن سليمان، أخبرنا ثابت، وعلي بن زيد، عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: **(رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله ﷻ لأبَرَّه منهم، البراء بن مالك).**

فلما كان يوم تُسْتَرَ، من بلاد فارس، انكشف الناس، فقال له المسلمون: يا براء! أقسم على ربك ـ وكان مجاب الدعوة ـ فقال:

(١) أسد الغابة (١/ ٢٠٠).
(٢) الترمذي في المناقب (٣٨٥٤).

أقسم عليك يا رب، لَمَّا منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك، فحمل وحمل الناس معه، فقتل مرزبان الزأرة، من عظماء الفرس، وأخذ سلبه، فانهزم الفرس، وقتل «البراء» وذلك سنة عشرين في قول الواقدي، وقيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة ثلاث وعشرين، قتله الهرمُزَان، وكان حسن الصوت يحدو بالنبي ﷺ في أسفاره، فكان هو حادي الرجال، و«أنْجَشَةُ» حادي النساء، وَقَتَل «البراء» على تُسْتَر مائة رجل مبارزة سوى من شَرِكَ في قتله(١). رحمه الله تعالى، وأكرم مثواه.

---

(١) انظر أسد الغابة (١/ ٢٠٠).

obeikandl.com

البَرَاءُ بن مَعْرُورِ بن صَخْر رضي الله عنه

المبايع الأول يوم العقبة الثانية

صحابي، أنصاري، خزرجي، سلمي، والده «معرور بن صخر بن خنساء» وأمه «الرباب بنت النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل» وهو ابن أخ «سعد بن معاذ»، وكنيته: «أبو بشر».

سمع حديث: «مصعب بن عمير» سفير رسول الله ﷺ عن الإسلام، وما يتلوه من آيات القرآن، فاخترق شعاع الإيمان قلبه، ودخل في دين الله، وكان «مصعب بن عمير» على موعدة مع رسول الله ﷺ في العقبة، في موسم الحج أوسط أيام التشريق، ولما أزف الموعد، غادر «يثرب» نيف وسبعون رجلاً من الأنصار، وفيهم «البراء بن معرور» وكان بصحبتهم امرأتان فقط، هما «أم عُمَارة» و«أم منيع». وتحت جنح الظلام ـ بعيداً عن عيون قريش ورقبائها ـ كان الأنصار ينتظرون مقدم رسول الله ﷺ في العقبة، وانقشع الظلام الذي يغطي المكان حين وصل رسول الله ﷺ إليهم من نور وجهه الشريف، وكان معه عمه «العباس بن عبد المطلب» فقد حضر ليستوثق لأمر ابن أخيه ويطمئن على صدق عزيمة الأنصار في دعمه ونصرته.

يقول ابن الأثير في ترجمته للبراء بن معرور(١): [كان أحد

(١) أسد الغابة (١/ ٢٠١).

obeikandl.com

النقباء، كان نقيب بني سَلمَة، وأول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى في قول، وأول من استقبل القبلة، وأوصى بثلث ماله، وتوفي أول الإسلام، على عهد النبي ﷺ[١]. والأرجح أنه بايع ليلة العقبة الثانية حيث اختير نقيباً مع أحد عشر آخرين.

وقد أخرج ابن هشام في سيرته[٢] حديث ابن إسحاق عما جرى في تلك الليلة الغَرَّاء: [قال ابن إسحاق: حدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القَيْن، أخو بني سلِمَة: أن أخاه عبد الله بن كعب، وكان من أعلم الأنصار، حدثه أنَّ أباه «كعباً» حدّثه: وكان «كعب» ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها، قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلَّينا وفَقِهْنا، ومعنا «البراء بن معرور»، سيدنا وكبيرنا.

فلما وَجَّهْنا[٣] لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال: «البراء» لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيتُ رأياً، فوالله ما أدري أتوافقونني عليه، أم لا؟. قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: قد رأيت أَلَّا أدع هذه البَنِيَّةَ مني بظهر، يعني: الكعبة، وأن أصلي إليها، قال: فقلنا: والله، ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلَّا إلى الشام[٤]، وما نريد أن نخالفه. قال: فقال: إني لَمُصَلٍّ إليها، قال: فقلنا له: كلَّنا لا نفعل.

قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلَّينا إلى الشام، وصلَّى إلى الكعبة، حتى قدِمْنا مكة. قال: وقد كنا عِبْنا عليه ما صنع، وأبى إلَّا الإقامة على ذلك. فلمَّا قَدِمْنا مكة قال لي: يا بن أخي، انطلق بنا

(١) الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١١٨٣).
(٢) ابن هشام (٢/ ٥٢).
(٣) وَجَّهْنا: توجَّهنا.
(٤) يقصد بيت المقدس.

إلى رسول الله ﷺ، حتى نسأله عما صنعتُ في سفري هذا، فإنه والله، لقد وقع في نفسي منه شيءٌ، لما رأيتُ من خلافكم إيَّاي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنا لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك، فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا، قال: فهل تعرفان «العباس بن عبد المطلب» عمه؟ قلنا: نعم، قال: وقد كنا نعرف «العباس»، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً ـ قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع «العباس». فدخلنا المسجد، فإذا «العباس» جالس، ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلَّمنا، ثم جلسنا إليه.

فقال رسول الله ﷺ للعبَّاس: (**هل تعرف هذين الرجلين؟ يا أبا الفضل!**) قال: نعم. هذا «البراء بن معرور» سيد قومه، وهذا «كعب بن مالك»، قال: فوالله، ما أنسى قول رسول الله ﷺ: (**الشاعر؟**)، قال: نعم. قال: فقال له «البراء بن معرور»: يا نبي الله، إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أَلَّا أجعل هذه البَنِيَّةَ مني بظهر، فصليتُ إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيءٌ، فماذا ترى؟ يا رسول الله، قال: (**قد كنتَ على قِبْلَةٍ لو صبرتَ عليها**). قال: فرجع «البراء» إلى قبلة رسول الله ﷺ، وصلى معنا إلى الشام قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم.

قال ابن هشام: وقال عَوْن بن أيوب الأنصاري:

ومِنَّا المصلي أولَ الناس مُقْبِلاً على كعبةِ الرحمٰن بين المشاعر

يعني: «البراء بن معرور» وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وبعد أن تكلم عم النبي ﷺ، قالوا: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

ثم تكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغَّب في الإسلام، ثم قال: (**أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**)، فأخذ «البراء بن معرور» بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبياً! لنمنعنَّك مما نمنع منه أُزُرَنا[1]، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله! أبناء الحروب، وأهل الحَلْقة[2]، ورثناها كابراً عن كابر.

قال «كعب بن مالك»: [وقد قال رسول الله ﷺ: (**أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً، ليكونوا على قومهم بما فيهم**)، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس. وكان «البراء بن معرور» أحد أولئك النقباء، وتتابع القوم على مبايعة رسول الله ﷺ.

فلما فرغوا من البيعة، صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سُمِعَ قط: يا أهل الجباجب[3]، هل لكم في مُذَمَّم والصباة معه، قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: (**هذا أَزَبُّ العقبة، هذا ابن أَزْيَب**).

قال ابن هشام: ويقال: ابن أُزَيْب ـ أتسمع أي عدو الله، أما والله، **لأَفْرُغَنَّ** لك، ثم قال رسول الله ﷺ: (**ارْفَضُوا إلى رحالكم**). فقال العباس ابن عبادة بن نَضْلَة: والله الذي بعثك بالحق! إن شئت

---

(١) أُزُرَنا: نساءنا.
(٢) الحَلْقة: السلاح.
(٣) الجباجب: المنازل.

لنميلَنَّ على أهل مِنًى غداً بأسيافنا، فقال رسول الله ﷺ: **(لم نُؤْمَرْ بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم)**. ففعلوا، ثم ناموا حتى أصبحوا. ثم عاد الأنصار بنقبائهم إلى «يثرب»، وراحوا يترقبون يوم يقدم عليهم أعز الناس، ولكن «البراء بن معرور» دهمه المرض، فلما اشتد عليه أوصى وجعل وصيته أثلاثاً، ثلث لله تعالى، وثلث لرسوله ﷺ، وثلث لولده «بشر» ثم أسلم الروح. ولما قدم رسول الله ﷺ ذهب إلى قبره، فصلى عليه، واستغفر له، ورد نصيبه من الوصية على ورثته، وقال: **(اللَّهم! اغفر له، وارحمه، وأدخله الجنة، وقد فعلتَ)**، رحمه الله تعالى.

obeikandl.com

بلال بن رباح رضي الله عنه

عَنْدَلِيبُ الإسلام

صحابي، وأحد المستضعفين المعذبين في الله، عَنْدَليب الإسلام الغِرِّيد، وأول مؤذن لرسول الله ﷺ، والده «رباح الحبشي» وأمه «حمامة» مولاة لبني جمح بمكة، قد أذاقه سيده «أمية بن خلف» أحد سفهاء قريش ألوان العذاب فأوقعه الله في يده يوم واحد، فكان القِصاص.

وقد ذكر ابن إسحاق[1] جانباً مِنْ إيذاء المشركين للمستضعفين من المسلمين، قال: [ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتدَّ الحر، مَن استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يُفْتَنُ من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يَصْلُب لهم، ويعصمه الله منهم. وكان «بلال» مولى «أبي بكر» رضي الله عنهما، لبعض بني جُمَح، مولَّداً من مولديهم، وهو «بلال بن رباح» وكان صادق الإسلام، طاهر القلب، وكان «أمية بن خلف بن وَهْب بن حذافة» من جُمَح يخرجه إذا حَمِيتِ الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللاتَ والعُزَّى، فيقول وهو في

---

(١) سيرة ابن هشام (١/٣١٧).

ذلك البلاء: أحد، أحد. قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كان «ورقة بن نوفل» يمر به وهو يعذب بذلك، وهو يقول: أحد، أحد، فيقول: أحد، أحد، والله! يا بلال، ثم يقبل على «أمية بن خلف» ومن يصنع ذلك به من بني جُمَح، فيقول: أحلف بالله، لئن قتلتموه على هذا، لاتخذَنَّه حناناً(١)، حتى مرَّ به «أبو بكر الصديق» (ابن أبي قحافة) رضي الله عنه يوماً، وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار «أبي بكر» في بني جُمَح، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته فأنقذه مِمَّا ترى، فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك، أعطيكه به، قال: قد قبلت، فقال: هو لك، فأعطاه «أبو بكر الصديق» رضي الله عنه غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه].

وذكر ابن الأثير في أسد الغابة(٢): [قال سعيد بن المسيَّب، وذكر بلالاً: كان شحيحاً على دينه، وكان يعذَّب، فإذا أراد المشركون أن يقاربهم قال: الله الله، قال: فلقي النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه فقال: لو كان عندنا شيء لاشترينا بلالاً، قال: فلقي أبو بكر العباس بن عبد المطلب، فقال: اشتر لي بلالاً، فانطلق العباس، فقال لسيدته: هل لك أن تبيعيني عبدك هذا قبل أن يفوتك خيره؟ قالت: وما تصنع به؟ إنه خبيث، وإنه، وإنه، ثم لقيها، فقال لها مثل مقالته، فاشتراه منها، وبعث به إلى أبي بكر رضي الله عنه، وقيل: إن أبا بكر اشتراه وهو مدفون بالحجارة يعذب تحتها.

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين «أبي عبيدة بن الجراح» وكان

(١) أي لأجعلَنَّ قبره موضع حنان: أي عطف ورحمة، فأتمسح به متبركاً، يتمسح بقبور الصالحين والشهداء.

(٢) أسد الغابة (١/ ٢٣٧).

يؤذن لرسول الله ﷺ سفراً وحضراً، وهو أول من أذَّن له في الإسلام]. ولكن، ما الفضل الذي بلغه «بلال» بين صحابة رسول الله ﷺ الكرام؟ لقد أخرج الإمام أبو عبد الله البخاري في صحيحه[(١)]: حدثنا أبو نعيم، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن محمد بن المنكدر: أخبرنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان عمر يقول: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا، يعني بلالاً. فأي فضل كان لبلال؟ وأي تواضع كان لعمر؟ هكذا خرَّجت مدرسة «محمد» ﷺ أعاظم الرجال، وأماثل الأبطال، وأفذاذ المغاوير في ساحات القتال.

وجاء في الحديث القدسي، قال الله تعالى: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا). وذاق «بلال» من كؤوس الظلم أشدها مرارة، وما كان الله أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين ليدع من ظلم «بلالاً» وجرَّعه ألوان الذل والهوان، إنه «أمية بن خلف» سيده في الجاهلية، وأحد سفهاء قريش ومجرميها، وقدوة لكل جبارٍ مستكبرٍ عنيد. وحين أزفت ساعة القصاص، مكَّن الله المظلوم مِمَّن ظلمه، وكان السيف أَعْدَلَ من حكم! فبينما كانت رحى القتال دائرة يوم بدر، وكانت سيوف المسلمين تحصد رؤوس الكفر، بَصُرَ «بلال» بخصمه الألَدِّ، وعدوه الأَشَدِّ، ذلكم «أمية بن خلف»!

وقال «بلال» حين رآه: رأس الكفر «أمية بن خلف»، لا نجوتُ إن نجوتَ، وكان «أمية» وابنه «علي» قد استأسرا لعبد الرحمٰن بن عوف، وهو آخذ بيديهما، فلما سمع «ابن عوف» صيحة «بلال» قال: أيْ بلال! هما أسيراي، فقال «بلال»: لا نجوتُ إن نَجَوَا، وأيقن أن

(١) صحيح البخاري برقم (٣٥٤٤).

«عبد الرحمٰن بن عوف» لن يمكّنه منهما، فصرخ بأعلى صوته مستعيناً بالأنصار: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوتُ إن نجا. وضرب رجل «علي بن أمية» فوقع ولم يَنْبِس بكلمة، وصاح «أمية» صيحة مدويَّة لم يسمع بمثلها قط، فقال له «عبد الرحمٰن»: انج بنفسك، ولا نجاء، فوالله، ما أغني عنك شيئاً، واخترطتهما سيوف الأنصار، وفرقتهما شر ممزَّق، وشفى الله تعالى غليل «بلال» واقتص له من ظالمه.

ولم يكن شيء أقسى على نفس «بلال» ولا ساعة أثقل وطأة، من ساعة التحاق الحبيب الأعظم ﷺ بالرفيق الأعلى.

إنه ظل رسول الله ﷺ الذي لا يفارقه، فإذا حان موعد الصلاة آذنه بوقتها، وصدح صوته بدعوة الناس لأدائها، وإذا أمر بعطاء لأحد، قام خازنه «بلال» بتسليم ذلك العطاء، وإذا خرج إلى الجهاد لم يتخلف «بلال» عن الخروج معه، واعتصم «بلال» بالصبر على هذا المصاب الذي تندك له الجبال، وتخور أمامه عزمات الأبطال، ولم يَجِدْ أمام مشيئة العليم العلام، إلا الصبر والاستسلام، واستعان بالصلاة، كما أمر الله، وواعد «بلال» نفسه ألَّا يُؤذِّن لأحد بعد رسول الله ﷺ، وجاء إلى «أبي بكر» يستأذنه في الخروج إلى الشام، فقال له أبو بكر: بل تكون عندي، فماذا كان جواب «بلال» لخليفة رسول الله ﷺ؟

أخرج الإمام البخاري في صحيحه(١): [حدثنا ابن نمير، عن محمد بن عبيد، حدثنا إسماعيل، عن قيس: أن بلالاً قال لأبي بكر: إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله،

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣٥٤٥).

فدعني وعملي لله]. ولم يسع أبا بكر إلا أن يستجيب لِطَلَبه، وقال له: اذهب، فذهب إلى الشام، وبقي فيها حتى أتاه هاذِم اللذَّات، ومفرق الجماعات. وأخرج الطبراني[1]: أخبرنا أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقي إجازة، أخبرنا عمي، أخبرنا أبو طالب بن يوسف، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا محمد بن العباس، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحسين بن الفهم، أخبرنا محمد بن سعد، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس، أخبرنا عبد الرحمٰن بن سعد بن عمار بن سعد وعمار بن حفص بن سعد، وعمر بن حفص بن عمر بن سعد عن آبائهم، عن أجدادهم أنهم أخبروهم، قالوا: لما توفي رسول الله ﷺ جاء «بلال» إلى «أبي بكر» رضي الله عنه، فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**أفضل أعمال المؤمن الجهاد في سبيل الله**) وقد أردت أن أرابط في سبيل الله حتى أموت، فقال أبو بكر: أنشُدُك الله يا بلال، وحرمتي وحقي، فقد كبرتُ، واقترب أجلي، فأقام (بلال) مع (أبي بكر) حتى توفي (أبو بكر)، فلما توفي جاء «بلال» إلى «عمر» رضي الله عنه، فقال له كما قال لأبي بكر، فردَّ عليه كما ردَّ «أبو بكر» فأبى.

وقيل: إنه لما قال له «عمر»، ليقيم عنده، فأبى عليه: (ما يمنعك أن تؤذن؟) فقال: إني أذَّنت لرسول الله ﷺ حتى قبض، ثم أذَّنت لأبي بكر حتى قبض، لأنه كان ولي نعمتي، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**يا بلال، ليس عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله**) فخرج إلى الشام مجاهداً، وإنه أذَّن لعمر بن الخطاب لما دخل الشام مرة واحدة، فلم يُرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم].

(١) المعجم الكبير (١/ ١٠١٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٧٤). وابن الأثير في أسد الغابة (١/ ٢٣٧).

obeikandi.com

وذهب «بلال» وأخوه ليخطب لنفسه ولأخيه، فقال لأبي المرأتين: (أنا «بلال» وهذا أخي، عبدان من الحبشة، كنا ضالّين فهدانا الله، وكنا عبدين فأعتقنا الله، إن تزوجونا فالحمد لله، وإن تمنعونا فالله أكبر). وأخرج ابن الأثير في موسوعته أسد الغابة[١]: [روى عنه أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعبد الله بن عمر، وكعب بن عُجْرة، وأسامة بن زيد، وجابر، وأبو سعيد الخدري، والبراء بن عازب، وروى عنه جماعة من كبار التابعين بالمدينة والشام، وروى أبو الدرداء: أن «عمر بن الخطاب» لما دخل مِنْ فتح بيت المقدس إلى الجابية سأله «بلال» أن يقره بالشام، ففعل ذلك، قال: وأخي «أبو رويحة» الذي آخى رسول الله ﷺ بيني وبينه؟ قال: وأخوك، فنزلا «داريًّا» في «خَوْلان» فقال لهم: أتيناكم خاطِبَيْن، وقد كنا كافِرَيْن، فهدانا الله، وكنا مملوكَيْن فأعتقنا الله، وكنا فقيرَيْن، فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردُّونا فلا حول ولا قوة إلّا بالله، فزوجوهما. ثم إن «بلالاً» رأى النبي ﷺ في منامه وهو يقول: (**ما هذه الجفوة يا بلال؟ ما آن لك أن تزورنا؟**)، فانتبه حزيناً، فركب إلى المدينة، فأتى قبر النبي ﷺ وجعل يبكي عنده، ويتمرَّغ عليه، فأقبل «الحسن» و«الحسين» فجعل يقبلهما ويضمهما، فقالا له: نشتهي أن تؤذِّن في السحر، فعلا سطح المسجد، فلما قال: الله أكبر، الله أكبر، ارتَجَّتِ المدينة، فلما قال: أشهد أن لا إله إلّا الله، زادت رجَّتُها، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، خرج النساء من خدورهن، فما رئي يوم أكثر باكياً وباكيةً من ذلك اليوم وتابع ابن الأثير قوله: أخبرنا أبو جعفر بن أحمد بن علي، وإسماعيل بن عبيد الله بن علي، وإبراهيم بن محمد بن مهران، قالوا

---

(١) أسد الغابة (١/٢٣٨).

obeikandi.com

بإسنادهم عن أبي عيسى الترمذي، قال: حدثنا الحسين بن حريث، أخبرنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي، أخبرنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا «بلالاً» فقال: **(يا بلال، بمَ سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلتُ الجنة قط إلا سمعتُ خشخشتَك أمامي)**[١].

وما منع «بلالاً» عن الأذان بعد وفاة النبي ﷺ إلا أنه إذا قال: أشهد أن محمداً رسول الله، هاجت ذكرياته، وانهلت مدامعه، واحتبس صوته، إنه فرط الحب لحبيبه ﷺ، واختلف في مكان وفاته ودفنه، فقيل: مات بدمشق ودفن بباب الصغير، وقيل: مات بحلب ودفن على باب الأربعين[٢]، ولم يكن له عَقِبٌ، رحمه الله تعالى.

---

(١) الترمذي (٣٦٨٩).

(٢) أسد الغابة (١/ ٢٣٩).

obeikandl.com